١٦

وثيقة استخلاف الإمام غالب بن علي الهنائي، والصراع بين العلماء والزعماء، دراسة تحليليَّة مقارنة

د. سعيد بن محمَّد الهاشمي
جامعة السلطان قابوس
سلطنة عُمان
hashimys@squ.edu.om

ملخَّص:

تهدف هذه الورقة إلى تحليل وثيقة استخلاف الإمام الخليلي للإمام غالب بن علي الهنائي، في ضوء الظروف السِّياسيَّة داخليًّا وإقليميًّا، وفي ضوء الصراع بين العلماء وزعماء القبائل. ففي رجب ١٣٧٣هـ/ مارس ١٩٥٤م، اختار الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي الشيخ غالب بن علي بن هلال الهنائي لخلافته للإمامة بعد الرجوع عن استخلاف عبد الله بن سالم بن راشد الخروصي. وقد وقَّع على وثيقة الاستخلاف عدد من القضاة. وبعد وفاة الإمام محمَّد عقد العلماء البيعة للشيخ غالب، وكان زعماء القبائل غير متوافقين على استخلافه؛ ولهذا ظلَّ الإمام غالب في إمامته ما يقرب من عشرين شهرًا، ثمَّ ترك نزوى عندما دخلتها جيوش السلطان سعيد بن تيمور في ٣٠ ربيع الآخر ١٣٧٥هـ/١٣ ديسمبر ١٩٥٥م. يعتمد البحث على استقراء ومقارنة مجموعة من الوثائق والمذكِّرات المتَّصلة بموضوع الاستخلاف. وخلُص إلى عدم توافق العلماء وزعماء القبائل الأساسيِّين على استمرار الإمامة ودعم الإمام غالب الهنائيِّ. كما عجَّلت الحملة العسكريَّة لابن عطيشان واحتلاله للبريمي من تقوية صوت المنادين بالوحدة الوطنيَّة بين دولة الإمامة بالداخل وحكومة مسقط وعُمان تحت راية واحدة. وأظهرت الدراسة هشاشة مؤسَّسة الإمامة في المرحلة الأخيرة من حياة الإمام الخليلي. هذا الضعف أدَّى إلى سقوطها نهائيًّا وظهور عُمان الحديثة الموحَّدة تحت راية وطنيَّة واحدة.

كلمات مفتاحيَّة: الإمام غالب الهنائي. وثائق. استخلاف. زعماء. صراع.

مقدِّمة:

في رجب ١٣٧٣هـ/ مارس ١٩٥٤م، استخلف الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي الشيخ غالب بن علي بن هلال الهنائي لخلافته في منصب الإمامة، بعد الرجوع عن قراره باستخلاف الشيخ عبد الله بن سالم بن راشد الخروصي، الذي كان قد استخلفه قبل عشر سنوات تقريبا. وقد وقَّع على وثيقة الاستخلاف[١] عدد من القضاة. وفي فجر الاثنين ٢٩ شعبان ١٣٧٣هـ/ ٣ مايو ١٩٥٤م مات الإمام محمَّد، فعقد العلماء البيعة للشيخ غالب. وكان زعماء القبائل غير متوافقين على الاستخلاف. وظلَّ الإمام غالب في إمامته ما يقرب من عشرين شهرا (سنة وسبعة أشهر وعشرة أيَّام)، حيث انسحب من نزوى عندما دخلتها جيوش السلطان سعيد بن تيمور في ٣٠ ربيع الآخر ١٣٧٥هـ/١٣ ديسمبر ١٩٥٥م.

يهدف هذا البحث إلى تتبُّع استخلاف الإمام محمَّد الخليلي للشيخ غالب، ومدى قبوله لدى العلماء وزعماء القبائل المساندين للإمامة، ويكتسب أهمِّيَّته من تتبُّعه للأحداث السابقة للاستخلاف وما بعده وما ترتب عليه، من خلال تحليل مجموعة من الوثائق والمذكِّرات، ومن خلال بعض اللقاءات المباشرة مع عدد من كبار السنِّ الذين عايشوا تلك الفترة.

اعتمد البحث على المنهج الوصفيِّ التاريخيِّ، وعلى المنهج التحليليِّ؛ وذلك لتوفُّر وثيقة الاستخلاف والمبايعة التي وقَّع عليها قضاة الإمام قبل وفاته بشهر ونصف الشهر. وسيقارن البحث -أيضا- بين مضامين تلك الوثائق والمذكِّرات واللقاءات.

وثيقة الاستخلاف:

"بسم الله الرحمن الرحيم[٢]

هذا ما أقوله وأنا إمام المسلمين محمَّد بن عبد الله الخليلي: إنِّي قد رجعت عن استخلاف الولد عبد الله ابن الإمام سالم؛ لأنِّي قد رأيت فيه ضعفًا وإحراضا[٣]،

---

١) الملحق رقم (١) وثيقة الاستخلاف (١-٣).

٢) كتب بعد البسملة العبارة: "نقل من نقل من نقل من أصل بالحرف الواحد".

٣) ورد تفسير لكلمة الحرض في الهامش الأيمن للرسالة من قبل الشيخ صالح وهي: "والحرض ما دون الموت كتبه صالح".

وذلك مخالف للمقصود من أمر الخلافة؛ لأنَّ أمرها متين، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ خَيرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ (سورة القصص: ٢٦). وإنِّي قد نظرت في أمر المسلمين مجتهدًا لله وللمسلمين، ورأيت أنَّ غالب بن علي هو القويُّ في دينه، والعدل في أمانته؛ فجعلته هو الخليفة على أمر المسلمين من بعدي، مقتديًا في الاستخلاف بأبي بكر الصديق وعمر بن الخطَّاب -رضي الله عنهما-. فإن استقام غالب، فذلك حسن ظنِّي فيه، وإلاَّ فـ﴿سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (سورة الشعراء: ٢٢٧). والله أسأله لي وله الإعانة والتأييد والتسديد وحسن الخاتمة، ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله العليِّ العظيم، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم. كتبه عن إملاء الإمام شاهدًا عليه وملتزما لله بطاعة هذا الذي استخلفه الإمام أعزَّه الله، ومعتقدًا النصح له خاصَّة، وللمسلمين عامَّة، وأنا العبد لله: سفيان بن محمَّد بن عبد الله الراشدي بيده، في اليوم التاسع عشر من شهر رجب من سنة ١٣٧٣"[١].

مضامين وثيقة الاستخلاف وأهدافها:

جاء استخلاف الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي للشيخ غالب بن علي الهنائي مسبَّبا في وثيقة أخرى. ذلك أنَّه أيَّام مرضه الذي مات فيه "اجتمع عليه أصحابه، وطلبوا منه أن يستخلف على الأمَّة، خوف الفتنة، فوافق على ذلك، ثمَّ رجع، ثمَّ وافق، ثمَّ رجع، ثمَّ وافق، وذلك لما يخشاه من تبدُّل الأحوال، وتغيُّر الناس، ولِمَا يرجوه من صلاح الأمَّة"[٢]. ويُفهم من هذا التردُّد أنَّ الإمام محمَّد لم يكن راغبًا في الاستخلاف، غير أنَّه أُجبر عليه من المقرَّبين إليه من العلماء الذين جعلهم مستشاريه، وهم قلَّة قليلة جدًّا، ومتمسِّكون بالإمامة ومكانتها. لكنَّ هؤلاء العلماء/ المستشارين لم يتمكَّنوا من أن يكسبوا القوى السِّياسيَّة، وأن يأخذوا منها التأييد، ولعلَّهم فعلوا ذلك وحالت أسباب دون نجاحهم؛ فقد كان الشيخ سليمان بن حمير النبهاني معتزًّا بمكانته، وكان يرى في نفسه أنَّه يستغني عن التبعيَّة؛ ولهذا عندما أرسل إليه الإمام وثيقة (قرطاسة) يطلب فيها موافقته، لم يشأ أن يوقِّع عليها، ولم يردَّ على الإمام. فقد روى الشيخ عبد الله ابن الإمام سالم الخروصي أنَّه جاء

١) الحارثي، محمَّد بن عبد الله: موسوعة عُمان، مركز دراسات الوحدة العربيَّة، بيروت، ٢٠٠٧م، ج٣، ص٥٣٥.
٢) الحارثي، سعيد بن حمد بن سليمان: اللؤلؤ الرطب، د. نا، ط١، مسقط، ١٩٨٥م، ص٢٩٦.

في رسالة منه وجهها إلى الإمام الخليلي مؤرَّخة في ٢٤ جمادي الثاني ١٣٦٨هـ/٢٣ أبريل ١٩٤٩م ما يأتي[١]: "...أنَّه بلغني أنَّكم ترمون الاجتماع والدعوى بالأمير الحميريِّ ومن شئتم من باقي الأشياخ تؤكِّدون ما اجتمعتم عليه أوَّلاً من الخلافة، وتأخذون منه المواثيق، وتطلبون منه القرطاسة[٢] المكتوبة في ذلك، ولعلَّ بعض الناس لبَّس عليكم في ذلك، فظننت صدقه، وقد قال ﷺ: "إذا ظننت فلا تحقِّق". فاعلم أيُّها الإمام أنَّا نرى ترك ذلك، إن كان هذا كما نقل لنا. وأمَّا القرطاسة نظرتها بنفسي حال قيامي عنده مرَّتين... وما يحوك في القلوب ينبغي تركه، وتآلف الناس يُسعى إليه بكلِّ وجه جائز... والجواب منكم أرجوه في كتابي هذا خاصَّة، والتشاور والتناظر منكم لأولي العقول والصفاء من استوت منهم سريرته وعلانيته"[٣].

وقد أجاب الإمام الخليليُّ على الشيخ عبد الله في الخطاب نفسه، هذا أوَّلاً. وثانيًا: قرر الإمام عزل الشيخ عبد الله بن سالم بن راشد الخروصي من الاستخلاف، حيث سبق أن استخلف الإمام الخليلي الشيخ عبد الله عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م ليكون إمامًا من بعده، لكنَّه رجع عن ذلك. ويقول الإمام في رسالة بعثها الإمام إلى الشيخ عبد الله مؤرَّخة في ٢٨ رجب ١٣٦٨هـ/٢٥ مايو١٩٤٩م جاء فيها[٤]: "وكنت عهدت إليك بالخلافة من بعدي، والآن رجعت عن ذلك"[٥]. وكان سبب رجوعه أنَّه شعر بأنَّ في الشيخ عبد الله ضعفًا، ومنصب الإمامة يحتاج رجلا فيه قوَّة وإقدام وحزم وعزيمة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنَّ الإمام وجد معارضة خفيَّة من العلماء ورجال السياسة حول استخلاف الشيخ؛ خوفًا من نظام التوريث، وعدم مقدرته السِّياسيَّة، ولم يجد قبولاً عامًا بذلك؛ لهذا تراجع الإمام.

في شعبان ١٣٧٢هـ/ إبريل ١٩٥٤م عقد الإمام اجتماعًا حضره عدد من رجال العلم والسياسة، وعلى رأسهم الشيخان: سليمان بن حمير النبهاني، وصالح بن

---

١) الملحق رقم (٣) رسالة الشيخ عبد الله بن الإمام للإمام محمَّد بن عبد الله.

٢) يقصد بها وثيقة كتبها الإمام محمَّد ووجَّهها إلى الشيخ سليمان الذي لم يشأ التوقيع عليها، ويوحي بأنَّ الشيخ غير راض بمحتوياتها.

٣) الملحق رقم (٣) الحارثي: موسوعة عمان، ج٢، ص٩٢٨.

٤) الملحق رقم (٢) رسالة الإمام محمَّد للشيخ عبد الله بن سالم.

٥) الحارثي: موسوعة عُمان، ج٢، ص٩٣٠. والخليلي، سعود بن علي: كلمة؛ صفحات من تاريخ عمان، ط٢، بيروت، ٢٠١٥م، ص٢١٢.

عيسى الحارثي، وطرح عليهم فكرة تخلِّيه عن منصب الإمامة؛ لكونه "قد أصبح كبيرًا في السنِّ، ولا يستطيع تحمُّل أعباء منصب الإمامة"[١]، وقرَّر المجتمعون رفض طلب الإمام، وطالبوه بالاستمرار، كما أنهم اتفقوا على تعيين مساعد له، يكون مقرُّه بنزوى، وإذا أثبت هذا المساعد جدارته في هذه المهمة، يمكن أن يبايع بالإمامة بعد وفاة الإمام، وقد رشَّح المجتمعون أربعة رجال لهذا المنصب، هم[٢]:

- الشيخ عبد الله بن سالم بن راشد الخروصي الذي يبلغ من العمر ٣٥ سنة، ويتولىَّ ولاية نخل. وكان الشيخ عبد الله مرشَّحا قويًّا مدعومًا من الشيخ سليمان بن حمير النبهاني، ومن قبائل الغافريَّة. ويبدو أنَّ الإمام رضي به مساعدًا، ولكنَّه لم يتَّخذ أيَّ إجراءات في ذلك. ومن المعارضين لهذا الاختيار الشيخ صالح بن عيسى الحارثي فقد علَّق: "بأنَّهم الآن سيجدون الفرصة لمعرفة كم كان اختيارهم ذلك غير صالح وغير مناسب، وهو بلا شكٍّ شخصيَّة غير قويَّة"[٣].

- الشيخ علي بن هلال بن زاهر الهنائي البالغ من العمر ٧٠ سنة، ويتولَّى ولاية الرستاق[٤].

- الشيخ سيف بن راشد المعولي البالغ من العمر ٣٥ سنة، ولا يتولَّى أيَّ منصب، وكان الشيخ سيف قد رشَّحه الشيخ صالح بن عيسى الحارثي.

- الشيخ أحمد بن ناصر بن منصور البوسعيدي البالغ من العمر ٦٠ سنة، ويتولَّى ولاية بدبد.

وقد اطَّلع الباحث على قولٍ بأنَّه كان في عمان أربع شخصيَّات مهيأة لمنصب الإمامة: الشيخ القاضي عبدُ الله ابن الإمام سالم الخروصي، والشيخ القاضي سيف بن راشد بن نبهان بن سليمان المعولي[٥]، ووالي بدبد الشيخ أحمد بن ناصر بن منصور البوسعيدي، والشيخ غالب بن علي الهنائي. وشكَّل الإمام محمَّد

١) المرجع نفسه، ج٢، ص١٧٨.
٢) المرجع نفسه.
٣) المرجع نفسه، ص١٧٩.
٤) هو والد الإمام غالب بن علي بن هلال الهنائي.
٥) كان الشيخ سيف بن راشد ممَّن أدخلهم السلطان سعيد السجن لكونه من جملة علماء نزوى ومن قضاة الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي بنزوى.

الخليلي لجنة زارت هؤلاء في ولاياتهم، ورفعت اللجنة تقريرها إلى الإمام محمَّد، وكان الرأي الأرجح هو استخلاف الشيخ غالب بن علي. والحقيقة أنِّي لم أجد ما يؤيِّد هذا الرأي، إلاَّ ما اطَّلعت عليه من دون تأكيد، ولا توثيق في أكثر من موقع في الشبكة العنكبوتيَّة، وهو رأي لا يمكن إغفاله أو التغاضي عنه[1]. وهذا الخبر إن كان قد حدث بالفعل، فهو يدلُّ على تقدُّم في الفكر السياسي العماني، ولعلَّه كان بعد اجتماع الإمام بالوجهاء والعلماء والشيوخ في نزوى لأجل التنازل عن الإمامة كما ذُكِرَ في صدر البحث. وإن كان هذا رأي أوحدي، فلا ينبغي طرحه؛ لأنَّ الإمام أصدر وثيقة الاستخلاف بإعفاء الشيخ عبد الله بن سالم لأسباب عرفها فيه، واختار الشيخ غالب لصفات توخَّاها فيه، ولم يشر إلى الشيخ المعولي، ولا إلى الشيخ أحمد البوسعيدي.

إنَّ وثيقة الاستخلاف التي ورد فيها توقيع الشيخ عبد الله ابن الإمام سالم الخروصي وموافقته جاءت صيغة شهادته مختلفة عن بقيَّة الموقِّعين من القضاة الذين كانوا يشيرون إلى أنَّهم ملتزمون بهذا الاستخلاف، بينما جاءت شهادته على النحو الآتي: "أشهدني الوالد الإمام على ما سطَّر هنا من استخلاف الشيخ غالب بن علي من بعده، وعندي أنَّه صالح، وكتبه عبد الله ابن الإمام سالم رحمه الله، ورضيتُ به خليفة. عبد الله بيده"[2]. وتلك الصيغة لا تعبر عن رضًا تامٍّ. كما أنَّ الشيخ عبد الله لم يكن فيه ضعف حسبما جاء في وثيقة الاستخلاف، وقد مضى على رجوع الإمام عن استخلاف الشيخ عبد الله حوالي خمس سنوات[3]، وكان تاريخ رجوعه ٢٨ رجب ١٣٦٨هـ، وكان ردُّ الشيخ عبد الله على الإمام بعد خمسة أيَّام، مؤرَّخًا في ٣ شعبان ١٣٦٨هـ جاء فيه: "...أيُّها الإمام، السعيد من اكتفى بغيره، ورسمتم أمرًا ليس عن نظري، بل اجتمعتم عليه بأنفسكم، ولم تخاطبني أنت فيه إلاَّ بعد رجوعك من الشرقيَّة، واتَّفقتم عليه منذ مدَّة مديدة، فرجوعك فيه عندي لا يغني عنك شيئًا الآن، ليس عن نظري، ولا قبضت فيه كتابًا، وسبيل الرجوع ومحلُّ المعارفة فيه لمن اجتمع بك أوَّلا، وقبض عليك خطَّ يدك، فتدبَّر ما

١) ذكر عبد الله بن محمَّد الطائي في كتابه "تاريخ عمان السياسي" أنَّ هنالك ثلاثة مرشَّحين للإمام فذكر الشيخ عبد الله بن سالم والشيخ غالب بن علي الهنائي، ولم يذكر المرشَّح الثالث. الطائي، عبد الله بن محمَّد: تاريخ عمان السياسي، ط١، مكتبة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٠٨م، ص٢٦٢-٢٦٣.

٢) الملحق رقم (١).

٣) ينظر: الملحق رقم (٣).

أبديته لك..."[١]. فهل صاحب هذا الردِّ يكون فيه ضعف ووهن؟! لا يبدو ذلك، لكن عدم اتِّفاق القوم عليه أضعف رغبة الإمام.

دعا الإمام جميع الأعيان، وأهل الحلِّ والعقد من العلماء والرؤساء ومشايخ القبائل إلى نزوى، فحضر عدد كبير منهم، وذلك لأجل المشورة في استخلاف الشيخ غالب[٢]، ولم يكن هناك إجماع على استخلاف الشيخ غالب خليفة من بعد وفاة الإمام. والشيخ غالب من وجهة نظر الإمام هو الرجل المناسب، والقويُّ في هذا المنصب؛ لأنه القويُّ في دينه وعدالته وأمانته وشجاعته وإقدامه[٣].

وضَّحت الوثيقة أنَّ الإمام محمَّد فعل هذا الاستخلاف مقتديًا بالخليفة أبي بكر الصديق والخليفة عمر بن الخطَّاب، وهذا لا خلاف عليه؛ لأنه من مبادئ الدين. واشترط الإمام على الشيخ غالب أن يكون مستقيمًا وعادلاً، طالبًا من أتباعه التأييد والإعانة للإمام الجديد؛ ولهذا أرسل للعلماء والشيوخ ليعلمهم ذلك.

هذه الوثيقة نقل من منقول من منقول من الأصل، أي نُقلت من النسخة الثالثة، وليست الأصل، وكاتب النقل الشيخ سعيد بن حمد بن سليمان الحارثي، وتاريخها هو ١٩ رجب ١٣٧٣هـ، أي قبل ٤٠ يومًا من وفاة الإمام محمَّد، وكاتب الوثيقة الأصل هو القاضي الشيخ سفيان بن محمَّد بن عبد الله الراشدي عن إملاء الإمام. هكذا كتب الشيخ سفيان، بينما يذكر الإمام أنَّ أبناء أخيه هلال وسعود، هما اللذان كتبا الاستخلاف، وأرسل للعلماء للمصادقة عليه.

في نهاية الوثيقة مجموعة من قضاة الإمامة وولاته، أبدوا موافقتهم على ما كتبه الشيخ سفيان بن محمَّد الراشدي في رجوع الإمام عن استخلاف الشيخ عبد الله ابن الإمام سالم، واستخلاف الشيخ غالب بن علي الهنائي.

---

١) الملحق رقم (٤).

٢) ينظر: الخليلي: كلمة، ص٧٣.

٣) جاء في بحث الحوسني، زاهر بن عبد الله "سيرة محمَّد بن سالم الرقيشي" أنه: "قبل احتضار الإمام الخليلي بثلاثة أيام استدعى العلماء للحضور عنده يوصيهم بخير، ويحرضهم على قيام العدل، وأن يتفقوا، ولا يتفرقوا حرصًا منه، وتأسيًا بفعل الخلفاء الراشدين، وكان في مقدمة العلماء خلفان بن جميّل السيابي، وشيخنا الرقيشي، والشيخ سفيان الراشدي، والشيخ غالب بن علي الهنائي، وجملة العارفين، فأجابوا الإمام على كلمة واحدة بأن يستخلف أحدًا ممن يرى فيه الكفاية للأمر، وأن رأيه فيه البركة، فأجابهم أنه يثقل عليه أمر الاستخلاف، وعرفهم عن حالة أهل عمان بكلام طويل ثم قال: "أتحرى ذلك في الشيخ غالب بن علي الهنائي القدوة على تحمّل الإمامة؛ لعلمه ورهطه وهمته العالية"، ص٦٥-٦٦.

التحليل والمناقشة:

غنيٌّ عن البيان الدور الكبير الذي لعبته الظروف السِّياسيَّة التي مرَّت بها عُمان والمنطقة والإمامة آنذاك في توجيه الأحداث، ويطرح السؤال التالي نفسه بقوَّة: هل كان الإمام ورجال دولته يريدون بقاء الإمامة؟ أم ينشدون وحدة عُمان الوطنيَّة تحت سيادة آل سعيد سلاطين مسقط وعُمان؟

كانت الأوضاع السِّياسيَّة في عُمان محطَّ تجاذب قوى داخليَّة، وأخرى خارجيَّة، ولما كان الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي على فراش المرض، فإنَّ رجال دولته من العلماء وزعماء القبائل على غير اتِّفاق في نظرتهم لمستقبل عُمان الإماميَّة، فحين يريد العلماء بقاء الإمامة والحفاظ عليها، سعت الزعامات القبليَّة إلى غير ذلك؛ فقبيلة الحُرُث تزعَّمها الشيخ صالح بن عيسى بن صالح وابن أخيه أحمد بن محمَّد بن عيسى بن صالح، وكان الشيخ أحمد يرى أن تكون وحدة عُمان بعد وفاة الإمام الخليلي تحت سيادة السلطان سعيد بن تيمور، بينما مال الشيخ صالح إلى موقف العلماء، فهو يرى ضرورة المحافظة على نظام الإمامة[1]. أما الشيخ سليمان بن حمير النبهاني فقد سلك طريقا ثالثا، فهو يبحث عن مكانة سياسيَّة لنفسه، لا يهمُّه أمر الإمامة، ولا يرى الوحدة الوطنيَّة مسلكًا مناسبًا له.

---

١) اختلفت قبيلة الحُرُث وهناوية الشرقيَّة على زعامتهم؛ حيث انقسموا إلى فريقين: الفريق الأوَّل ينادي بأن يكون أحمد بن محمَّد بن عيسى بن صالح زعيمًا للقبيلة وللحزب الهناوي؛ لكونه يرث الزعامة من والده محمَّد بن عيسى بن صالح، كما هي العادة، والفريق الآخر تزعَّمه الشيخ صالح بن عيسى بن صالح الحارثي؛ لكونه أكبر من الشيخ أحمد، وفي الوقت نفسه هو عمُّه، وحليف قويٌّ للإمامة. بينما كان ميل الشيخ أحمد إلى السلطان، ولم يكن السلطان راضيًا على عمِّه الشيخ صالح بن عيسى الذي عقد تحالفًا مع الشيخ سليمان بن حمير بن ناصر النبهاني (١٩٠٤م -١٩٩٨م) زعيم الغافريَّة والداعم القويِّ للإمامة. وأصبحت زعامة الحُرُث بعد وفاة الشيخ محمَّد بن عيسى في يد صالح بن عيسى في بادئ الأمر في وقت كان فيه الشيخ أحمد واليًا على جعلان، واعترف السلطان بهذه الزعامة في رسالة بعثها إليه مؤرَّخة في ١٦ جمادى الأولى ١٣٦٦هـ (ينظر البوسعيدي، سالم بن سعيد: الشيخ صالح بن عيسى الحارثي، ط١، نشر: رؤى، ٢٠١٤م، ص٢٣٠). كما اعترف الإمام بهذه الزعامة في بادئ الأمر في رسالة وجَّهها إليه مؤرَّخة في ١٦ شعبان ١٣٧٠هـ. (البوسعيدي: المرجع نفسه، ص٢٣٥). لكنَّ السلطان على ما يبدو لم يكن على ثقة بالشيخ صالح بن عيسى، فتراسل مع الشيخ أحمد وأقنعه بزعامة قومه؛ لكونه أحقَّ من عمِّه؛ لأنَّ الزعامة يرثها الابن من أبيه، ولا تنتقل إلى الأخ في حالة وجود الابن، وبذلك بدأ الشقاق بين الشيخ أحمد وعمه صالح.

وصل أمر الخلاف إلى أن غادر الشيخ صالح مدينة القابل إلى مدينة المضيرب؛ لكي يحظى بدعم الشيخ حمد بن سليمان الحارثي. وتدخَّل الإمام محمَّد في مراسلات متعدِّدة بينه وزعماء الحُرُث، حتَّى كتب لهم الإمام: "لا زلنا نقول في شأن أحمد بن محمَّد وعمِّه صالح بن عيسى، مع أنَّ الناس لم يبلغنا أنَّهم يعدُّون على صالح مظالم، ولا سفاسف أمور، ولا أحمد، إلاَّ أنَّ كلَّ واحد لا يرى شدَّ عضد صاحبه، ولو كان في حقٍّ، وعلى حقٍّ". البوسعيدي: المرجع نفسه، ص٦٢.

وقسم رابع تشبَّث بمصالحه الدنيويَّة، فقد سعى بعض شيوخ القبائل إلى الأمير السعوديِّ بالبريمي؛ إذ كان يمدُّ بالمال كلَّ طالب[١]؛ كسبا لولائهم لدولة آل سعود.

وفي ضوء تلك التيارات الأربعة المشار إليها يمكن فهم اللغط الكبير الذي دار حول استخلاف الشيخ عبد الله ابن الإمام سالم الخروصي، ثمَّ استخلاف الإمام غالب بن علي الهنائي ومبايعته.

صادق العلماء والقضاة على استخلاف الشيخ غالب بن علي الهنائي، وقد كان بعضهم غير موجود في نزوى، لكنَّهم أرسلوا موافقتهم عبر رسائل حين خاطبهم الإمام، وبعضهم كان في الأصل موجودا في نزوى مركز الإمامة، بدليل قول الشيخ سفيان بن محمَّد: "نقلته بالحرف من خطوطهم وكتبه سيفان بن محمَّد بيده"[٢]. ومنهم من أناب عنه آخر، وكلَّف أحدًا بالتوقيع مثل: الشيخ سعيد بن ماجد بن سليمان السيفي، كتب نيابة عنه الشيخ سعيد بن ناصر بن خميس السيفي؛ لأنَّه كان ضريرًا. وذكر الشيخ صالح بن عيسى في ذيل هذه الوثيقة أنَّ هؤلاء الذي صادقوا على هذا الاستخلاف، هم قضاة الإمام: "هؤلاء كلُّهم قضاة الإمام، أي المحرِّرون بالصحائف الثلاث، وكتبه العبد لله سليمان بن حمد بن سليمان الحارثي، نقلته بالحرف الواحد عن أمر الأخ الشيخ صالح بن عيسى بتاريخ ٣ شوال ١٣٧٣هـ"[٣]. والمصادقون على هذا الاستخلاف من قضاة الإمام هم:

- الشيخ سفيان بن محمَّد بن عبد الله الراشدي.
- الشيخ منصور بن ناصر بن محمَّد الفارسي.
- الشيخ سعيد بن ناصر بن خميس السيفي.
- الشيخ سعيد بن ماجد بن سليمان السيفي.
- الشيخ مالك بن محمَّد العبري.

---

١) الحارثي، محمَّد بن أحمد: مذكِّرات الشيخ أحمد، مرقون، نسخة بمكتبة الباحث، ص٢-٣. والفارسي، سيف بن محمَّد: حياتي، ط١، مكتبة خزائن الآثار، بركاء، سلطنة عُمان، ص٦٠.

٢) الملحق رقم (١) وثيقة الاستخلاف.

٣) الملحق رقم (٣).

- الشيخ محمَّد بن سالم بن زاهر الرقيشي.
- الشيخ سعود بن سليمان بن جمعة الكندي.
- الشيخ إبراهيم بن محمَّد بن سالم الرقيشي.
- الشيخ زاهر بن عبد الله بن سعيد العثماني.
- الشيخ سالم بن محمَّد بن علي الحارثي.
- الشيخ علي بن ناصر بن عامر الغسيني.
- الشيخ محمَّد بن راشد بن سلطان الحبسي.
- الشيخ عبد الله ابن الإمام سالم الخروصي.
- الشيخ خالد بن مهنا بن خنجر البطاشي.
- الشيخ أحمد بن ناصر بن منصور البوسعيدي.

يظهر من خلال قائمة الموقّعين والموافقين على الاستخلاف أنَّ هناك قضاة وشيوخ قبائل آخرين لم تظهر أسماؤهم في هذه القائمة، ولعلَّهم كانوا غير موافقين على الاستخلاف مثل: الشيخ أبي عبيد حمد بن عبيد السليمي، والشيخ خلفان بن جميل بن حرمل السيابي[1]، والشيخ سيف بن حمد بن شيخان الأغبري، والشيخ سيف بن راشد بن نبهان المعولي، والقاضي أحمد بن ناصر بن خميس السيفي، والشيخ سليمان بن سالم الكندي، والشيخ سالم بن سيف بن هلال البوسعيدي، والشيخ هلال بن علي بن عبد الله الخليلي، وسعود بن علي بن عبد الله الخليلي، وعبد الله بن علي بن عبد الله الخليلي، وعبد الله بن زاهر بن غصن الهنائي، والشيخ محمَّد بن زاهر بن غصن الهنائي، والشيخ عبد الله بن سعيد السيابي، والشيخ غصن بن زاهر بن هلال الهنائي، والشيخ سليمان بن حمير النبهاني،

١) يذكر زاهر الحوسني أنَّ الشيخ ابن جميّل حضر إلى نزوى قبل ثلاثة أيَّام من موت الإمام محمَّد، وأنَّ الإمام أوصاهم، ويمكن أن يكون غالب هو الرجل المناسب، وصدرت وثيقة الاستخلاف من الإمام قبل وفاته بأربعين يومًا. ينظر: الحوسني، زاهر بن عبد الله بن هلال: سيرة محمَّد بن سالم الرقيشي، بحث مرقون، ص٦٥-٦٦.

والشيخ إبراهيم بن سعيد العبري، والشيخ أحمد بن محمَّد بن عيسى بن صالح الحارثي. إنَّ هذه القائمة تؤكِّد عدم اتِّفاق القوى الدينيَّة والقبليَّة في أمر بيعة الإمام غالب بن علي.

ومن المستغرب أنَّ شيوخ العبريِّين وبني هناءة وعلماءهم لم يكن لهم موقف سياسيٌّ ظاهر في هذه الأحداث، فلم نجد لهم إشارة في الوثيقة، ولم يصادقوا على الاستخلاف، إلَّا القاضي مالك بن محمَّد العبري، الذي وافق على الاستخلاف، وأنَّ الشيخ مهنَّا بن حمد العبري بايع الإمام بعد فترة، والشيخ إبراهيم بن سعيد العبري تلكَّأ وطلب التأخير إلى ما بعد رمضان، وعندما بايع اشترط على الإمام القيام على أهل عبري الذين طردوه منها سابقا.

وقد شهدت السنوات الأخيرة من حياة الإمام محمَّد حدثًا عسكريًّا مهمًّا جعل أنظار الكثيرين تتَّجه لأجل توحيد عُمان تحت راية واحدة؛ فقد قاد الأمير السعوديُّ تركي بن عطيشان بن عبد الله حملة عسكريَّة استولى فيها على البريمي، في سبتمبر ١٩٥٢م. وفتح ضيافته للعُمانيِّين، وأرسل إلى معظم شيوخ عُمان وحتَّى إلى السلطان والإمام بخبر وصوله، وزيَّن للجميع علاقتهم بابن سعود الملك عبد العزيز[١]. وقد اغتنم السلطان سعيد بن تيمور هذا الخطر الداهم لدعوة كبار شيوخ عُمان إلى الوحدة الوطنيَّة، وسعى في إقناع كثير من شيوخ عُمان. وتزعَّم هذا الرأي الشيخ أحمد بن محمَّد بن عيسى الحارثي نيابة عن السلطان. وبدا أنَّ معظم الشيوخ يميلون إلى هذا الرأي، وإلى الوحدة الوطنيَّة؛ وظهر التفاهم التامُّ بين الإمام والسلطان في حرب البريمي لإجلاء ابن عطيشان، وذلك في سبتمبر ١٩٥٢م[٢].

وهذا الوفاق بين الإمام والسلطان ليس أمرا حادثا؛ فقد كان الإمام يستعين بالسلطان في كثير من الأحيان. وفي مايو ١٩٥٣م أرسل الإمام محمَّد الشيخ أحمد بن محمَّد الحارثي إلى السلطان، يطلب منه المساعدة الماديَّة والعينيَّة لأجل

١) مجهول: الشعاع الأخضر، ص٧.

٢) تنظر رسالة الشيخ صالح بن عيسى الحارثي للقنصل السياسي البريطاني في مسقط، والمؤرَّخة في ٥ صفر ١٣٧٢هـ في: البوسعيدي: الشيخ صالح بن عيسى الحارثي، الوثيقة رقم ٢٣، ص٢٤٣.

إعادة مدينة عبري لسيطرته، واستجاب السلطان لهذا الطلب[١].

وقد راقب الشيخ أحمد بن محمَّد الحارثي التحوُّلات -كما يذكر ذلك في مذكِّراته-، وأخبر الإمام بأمر السلطان سعيد بن تيمور، وأنَّه يريده في صفِّه ودعمه، وأنَّ السلطان أرسل إليه خطابًا حينما كان واليًا على جعلان من قِبل الإمام في أواخر عام ١٣٧٠هـ/١٩٥١م. ثمَّ قال للإمام: "كما ترى أنَّ أهل عُمان منقسمون إلى ثلاثة أحزاب: حزب يريد السعوديَّ، وهم الأغلب، وحزب يريد السعيديَّ، وهم قلَّة، وحزب يريد الإمام وهو ضئيل جدًّا"[٢]، فردَّ عليه الإمام بقوله: "فارتبط معه (السلطان سعيد) والتزم، وأنا آمرك بذلك"[٣].

ويؤكِّد ذلك الانقسام الشيخ القاضي سيف بن محمَّد بن سليمان الفارسي في سيرته "حياتي" فيقول: "وأصبح أهل عُمان أفواجًا على باب ابن عطيشان، كلُّ عشرة جعلوا عليهم أميرًا، ويقال لهم: وقِّعوا إن جاءت لبلادكم الحكومة السعوديَّة فإنَّكم ترحبون بها... وعظمت المحنة، ولم يستطع إمام ولا سلطان ردعهم عن ذلك. وكتب ابن عطيشان للإمام أنَّه يطلب الإذن له بزيارة نزوى... فلما وصل كتابه كاد أناس من مستشاري الإمام يطيرون فرحًا إلى الترحيب، ويزيِّنون للإمام بقدوم ابن عطيشان، وأنَّه سيقوِّي ضعفك"[٤]. وهكذا انقسم أهل عُمان إلى ثلاثة أقسام، قسم مع ابن سعود طمعًا للمال، وقسم مع الإمام استحياءً، والقسم الثالث مع السلطان حقيقةً. وإلى جانب تلك الأقسام هناك رأي رابع. فعندما طرحت السلطات البريطانيَّة[٥] على الشيخ سليمان بن حمير النبهاني أثناء زيارته للبحرين في أغسطس ١٩٥٣م: مع من ستكون؟ فقال: "أكون مستقلاً بأقاليمي من الجبل الأخضر حتَّى بحر مصيرة"[٦]. وكان الرأي نفسه عرضه الشيخ سليمان بن

---

١) تنظر قائمة الذخيرة التي أرسلت بيد مبروك بن فاضل في رسالة للشيخ حمد بن سليمان الحارثي مؤرَّخة في ٥ محرَّم ١٣٧٢هـ في: الحارثي: موسوعة عُمان. ج٢، ص١١٠٢.

٢) الحارثي، أحمد بن محمَّد: مذكِّرات الشيخ أحمد الحارثي، ص٥.

٣) المرجع نفسه، ص٦.

٤) الفارسي، سيف بن محمَّد: حياتي، ط١، مكتبة خزائن الآثار، بركاء، سلطنة عُمان، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، ص١٥٠.

٥) المقيم السياسي البريطاني في الخليج هو السير برنارد الكسندر باروكاس. وكان مقرُّه البحرين في الفترة من ١٩٥٣ إلى ١٩٥٨، تنظر: Wikipedia, the free encyclopedia.

٦) البرقية رقم ٩٧٩ المؤرَّخة في ٤ أغسطس ١٩٥٣م في: Records of Oman: 1867-1960. vol. 8, p. 401.

حمير على القنصل الأمريكي في الكويت، حيث قابله الشيخ على مدى يومين، وطلب منه دعمه وحمايته، وأنه رحَّب بشركات البترول الأمريكيَّة بالتنقيب عن النفط في إقليمه[١].

وقد نجح الشيخ أحمد بن محمَّد الحارثي في إقناع الإمام محمَّد الذي رحَّب بزيارة ابن عطيشان لنزوى بأن يرفض الإمام، وحذَّره من خطورة الزيارة، ومن الناس الذين يروِّجون لمثل هذه الزيارة، والهدف منها[٢]. ولهذا اقتنع الإمام برأي الشيخ أحمد، وكتب رسالة عاجلة إلى الشيخ محمَّد بن نور الدين السالمي يأمره بالعودة، والرجوع إلى نزوى دون تسليم رسالة الترحيب لابن عطيشان. وكان الشيخ السالمي قد غادر نزوى إلى البريمي يحمل رسالة الترحيب، وقد تجاوز في مسيره مدينة بهلا، فأرسل الإمام من يلحق به، وكان ذلك في ٢٢ رجب ١٣٧٢هـ[٣]. وقبل ذلك تلقَّى الشيخ أحمد بن محمَّد الحارثي رسالة من الشيخ أحمد بن ناصر السيفي النزوي، مؤرَّخة في ٢٤ ربيع ١٣٧٢هـ/ ١٢ ديسمبر ١٩٥٢م[٤] تفيد أنَّ الشيخ طالب بن علي الهنائي ويحيى بن عبد الله النبهاني رجعا من السعوديَّة، وأنَّ الشيخ سليمان بن حمير النبهاني لا يزال في البريمي[٥]؛ ولهذا لا يخلو الأمر من تدبير فطن إليه الإمام، وأنَّ زيارة ابن عطيشان لنزوى تمثِّل إحراجا للإمام والسلطان معًا، حيث يعدُّ هذا اعترافًا بوجود آل سعود في البريمي. ويفهم من رسالة الشيخ السيفي أنَّ الإمام الخليليَّ كان متوجِّسا من تلك التحرُّكات لطالب ويحيى والنبهاني، وبشكل أكبر من ابن عطيشان؛ لذا أخذ سريعا بنصيحة الشيخ أحمد بن محمَّد الحارثي.

وبالنظر إلى الأحداث الداخليَّة يرى المتأمِّل هشاشة دولة الإمامة وتناقص المؤيِّدين لها؛ فقد خرج الشيخ أحمد بن محمَّد الحارثي من نزوى مزوَّدًا برسالة من الإمام إلى بعض الشيوخ -هناويَّة الشرقيَّة- يدعوهم إلى الاجتماع في سناو.

---

١) تنظر برقية القنصل السياسي في الكويت مؤرَّخة في ١٣ أغسطس ١٩٥٣م في: Ibid. p. 402.

٢) دخل الشيخ منصور بن ناصر الفارسي على الإمام وأقنعه بمكيدة ابن عطيشان. ينظر: كتاب حياتي للشيخ سيف الفارسي، ص١٥٠-١٥١.

٣) ينظر: الملحق رقم (٥).

٤) ينظر: الملحق رقم (٦).

٥) غادر الشيخ سليمان النبهاني ومرافقوه البالغ عددهم ٤٩ رجلا البريمي في ١٨ ديسمبر ١٩٥٢م.

وفي ذلك يقول الشيخ أحمد: "فأخذت منه كتابا لما أعلمه من حالة العُمانيِّين"[١]، وفحوى الكتاب: "إنَّني أجزت لك أن تحضر جميع شيوخ قبائل الهناويَّة"[٢]. وقد لبَّى الشيوخ الدعوة حينما دعاهم الشيخ أحمد، وكانوا اثنى عشر زعيمًا قبليًّا، وذلك في شعبان ١٣٧٢هـ/أبريل ١٩٥٣م، وكتبوا وثيقة تعهَّدوا فيها على: "مناصرة الإمام محمَّد حتَّى وفاته، وعدم مبايعة إمام آخر من بعده، وعلى أن يكون إمامنا وقائدنا السلطان سعيد بن تيمور؛ فتعاهدنا على ذلك العهود والمواثيق، وترابطنا عليه"[٣]. وقد وجد الشيخ أحمد معارضة شعبيَّة من قِبل بعض مؤيِّدي الإمامة في سناو؛ حيث كانوا غير راضين بمسعى الشيخ أحمد الذي يدعو إلى استخلاف السلطان سعيد بن تيمور بعد وفاة الإمام محمَّد. وأرسل الشيخ أحمد بن محمَّد الحارثي رسائل إلى السلطان سعيد وإلى الإمام محمَّد يخبرهما بما اتَّفق عليه، ونُسخًا من الاتِّفاق، وعلى ذلك كانت معارضته للإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي عندما استخلف الشيخ غالب بن علي الهنائي.

لم يكن الشيخ صالح بن عيسى الحارثي طرفًا في اتِّفاق سناو، بل إنَّه كتب: "وقد صرَّح لنا (أي: الإمام) بذلك (أي: استخلاف الشيخ غالب) لما دعانا إليه قبل وفاته ببضعة أيَّام؛ فالتزم المسلمون ما ألزمهم الله إيَّاه"[٤]. ومثل الشيخ صالح كان العلماء يلتزمون استخلاف الشيخ غالب ويبايعونه ويكتبون العبارة التالية: "نظرت ما كتبه القاضي أبو الحسن من رجوع الإمام أبقاه الله عن استخلافه للشيخ عبد الله ابن الإمام سالم، واستخلافه للشيخ غالب بن علي على أمر المسلمين؛ فرضيت به خليفة، والتزمت طاعته"[٥]. وهذه العبارة تكرَّرت عند جميع من ذكرناهم أعلاه من العلماء والقضاة بشيء من تفاوت في العبارات، ممَّا له مدلولات على مواقف سياسيَّة.

وقد أرسل الشيخ صالح بن عيسى الحارثي رسالة إلى قنصل الدولة البريطانيَّة بمسقط ذكر فيها وفاة الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي، وأنَّ الإمام قد استخلف

---

١) الحارثي، مذكرات الشيخ أحمد الحارثي، ص٦.
٢) المرجع نفسه، ص٦.
٣) المرجع نفسه.
٤) ينظر: الملحق رقم (٣).
٥) ينظر: الملحق رقم (١) ص٢.

الإمام الحالي غالب بن علي. وأشارت الرسالة إلى أنَّ المسلمين بايعوا الإمام غالب ملتزمين بما أمرهم الله به، ثمَّ ذكرت الرسالة: "ومَّمن بايع الشيخ الحميري ثمَّ من يليه، ثمَّ من يليه"، وتاريخ الرسالة: ٦ رمضان ١٣٧٣هـ/١٠ مايو ١٩٥٣م، ولم يشر إلى أنَّه قد بايع الإمام[١]، لكنَّ المؤكَّد أنَّ الشيخ صالح بن عيسى كان يسعى للمحافظة على نظام الإمامة معترفا بمكانة السلطان، كما كان يسعى أن يجدِّد الصلح بين السلطان والعُمانيِّين[٢]، حسب اتِّفاقيَّة السيب عام ١٩٢٠م، لكنَّه لم يوفَّق في مسعاه؛ نظرًا لتعارض المصالح السِّياسيَّة، وتفوُّق جانب السلطان سعيد بن تيمور.

وقد كان الإمام محمَّد يثق بالشيخ صالح، ويقدر مكانته السِّياسيَّة؛ ولهذا جعله نائبًا عنه في كثير من المهمَّات السِّياسيَّة. وفي الوقت نفسه كان يحظى باحترام السلطان سعيد بن تيمور؛ ولهذا أرسله الإمام للسلطان يطلب منه المساعدة لحرب عبري. وكان السلطان في ظفار، فعرض عليه الطلب، فوافق السلطان على طلب الإمام بتاريخ ٥ رمضان ١٣٧٢هـ/١٩ مايو ١٩٥٣م، وكلَّف وزير الداخليَّة أحمد بن إبراهيم بن قيس البوسعيدي[٣] بمدِّ الإمام بالمال والأسلحة والذخيرة[٤]. واستلم هذه المساعدة الشيخ أحمد بن محمَّد الحارثي رسميًّا؛ إذ أرسله الإمام بعد رجوع الشيخ صالح بن عيسى من مسقط قبل أن تصل موافقة السلطان[٥].

بعد أن قدَّم الشيخ صالح بن عيسى مَطالب الإمام محمَّد توجَّه إلى المملكة العربيَّة السعوديَّة حاملاً رسالة من الإمام إلى الملك عبد العزيز آل سعود مؤرَّخة في ١٦ جمادى الأولى ١٣٧٢م/٢ مارس ١٩٥٣م تحتوي على مخاطر الشيخ سليمان بن حمير بأنَّه يتواصل مع الشركات الأجنبيَّة[٦].

وإلى جانب ولاء الشيخ صالح بن عيسى للإمام الخليلي والاحترام للسلطان

---

١) ينظر: الملحق رقم (٧).

٢) البوسعيدي: الشيخ صالح، ص٦٢-٦٩.

٣) ينظر: مجموعة من الباحثين: دليل أعلام عمان، ط١، جامعة السلطان قابوس، بيروت، ١٩٩١، ص٢٧.

٤) برقية من الوكيل السياسي البريطاني شونشي بتاريخ ١٩ مايو ١٩٥٣م إلى المعتمد البريطاني في البحرين. تنظر الوثيقة رقم ٦٢٨ في الحارثي: موسوعة عمان، ج٣، ص٢٩١.

٥) الحارثي: مذكِّرات الشيخ، ص٨.

٦) الحارثي: موسوعة عمان، ج٣، ص٥٨٨.

سعيد بن تيمور كانت له طموحات سياسيَّة شخصيَّة. فعندما التقى الشيخ صالح أثناء سفره وعودته من الرياض بالمقيم السياسي البريطاني في البحرين بوروز (Brocas Burrows) في ١٠ و١٦ مارس ١٩٥٣م على التوالي، قدَّم مجموعة من المطالب اعترف ضمنها بأنَّ السلطان هو المسؤول عن شؤون عُمان الخارجيَّة، بينما تنحصر مسؤوليَّة الإمام في الشؤون الداخليَّة. ومن مطالبه المهمَّة: "يريد الشيخ صالح من السلطان أن يمنحه السلطة المطلقة في الداخل، سواء كان الإمام على قيد الحياة أو لا، ويتعهد في هذه الحالة ببذل كلِّ ما في وسعه لحماية عُمان"[١]. وهي مطالب تفهم في ضوء الصراع على الزعامة بينه وابن أخيه الشيخ أحمد بن محمَّد، ولا تضرُّ بدولة الإمامة.

وفي الأيَّام الأخيرة من حياة الإمام الخليلي تزايد اللغط على استخلاف الشيخ غالب بن علي؛ فيذكر الشيخ محمَّد بن نور الدين السالمي في كتابه "نهضة الأعيان" أنَّ الشيخ أحمد بن محمَّد الحارثي دخل على الإمام في غرفة نومه، وأنَّه أبلغه معارضته استخلاف الشيخ غالب قائلاً: "إنَّك فتنت العُمانيِّين بما كتبته، وإنَّ الأنصار لا يرضونه إمامًا لهم. فأجابه الإمام: لم أرد فتنتهم، إنَّما أريد جمعهم على الهدى، فإن كان كما قلت فإنِّي راجع عمَّا كتبته"[٢]. فيقول الشيخ أحمد إنَّه خرج عنه ليحضر الشيخ منصور بن ناصر القاضي وغيره من القضاة فيكتبون نقضه لذلك العهد، فمُنع من الدخول عليه عند رجوعه إليه[٣]. وهو ما يشير إليه الشيخ أحمد في مذكِّراته إلى هذه المقابلة، فقال: إنَّها حدثت عندما استدعى الإمام زعماء الحرث في شعبان ١٣٧٣هـ. يقول الحارثي: "فدخلت على الإمام فعاتبته على الاستخلاف، وإلى آخر ما قلته، فقال: أيُّها الولد أحمد أنا كما تراني من معاناة المرض، فجاءني الأولاد: هلال وسعود أبناء علي بن عبد الله الخليلي، وأكثروا عليَّ، وكتبوا الكتاب بأنفسهم، وأنا أراها فتنة، وإنِّني راجع عن ذلك الاستخلاف مائة مرَّة فأخبر الناس عنِّي". فخرج الشيخ أحمد بن محمَّد من عند الإمام، وأخبر الناس عن رجوع الإمام عن الاستخلاف. وهو موقف ذكره أيضًا الشيخ سعود بن علي الخليلي قائلاً: "وفيما بعد دخل الشيخ أحمد بن محمَّد

---

١) الحارثي: موسوعة عمان، ج٣، ص٢٦٣ وص ٢٦٧.
٢) السالمي: نهضة الأعيان، ص٤٩٨.
٣) المرجع نفسه.

الحارثي على الإمام، ثمَّ روى أنَّه تحدَّث إليه بما يخشى من هذا الاستخلاف، وأنَّه أجابه إلى ما تساءل عنه من فتنة يحذرها، وأنَّه تراجع عن خلافة الشيخ غالب"[١].

وبعد مقابلة الشيخ أحمد للإمام وحديثه عمَّا قاله الإمام له ليخبر الناس به ساد نوع من اللغط. وتساءل المشايخ والعلماء عن ذلك. يقول الشيخ سعود الخليلي: "فما كان من الجميع إلاَّ أن طالبوا باستفسار، وبأن نقوم بالاستيضاح من الإمام، لكنَّ الأمر جاء متأخِّرًا، وما كان باستطاعتنا استبانة ما رواه الشيخ أحمد، حيث كان الإمام في غيبوبة المرض"[٢].

ويبدو أنَّ الشيخين صالح بن علي الحارثي، وسليمان بن حمير النبهاني أرادا أن يستفسرا من الإمام عمَّا قاله الشيخ أحمد، وأنَّهما دخلا عليه لهذا الغرض، ولكنَّ الذي منعهما من التحدُّث مع الإمام هو معاناة الإمام من مرضه. يقول الشيخ عبد الله بن علي الخليلي في كتابه "الحقيقة": "فيدخلون على إمامهم، فلا يرفعون صوتًا، ولا يصوِّبون بصرًا؛ إبقاء على حاله، ورحمة له، وإذا بهم يخرجون، واليأس يخيِّم على نفوسهم"[٣].

ذكر الشيخ محمَّد السالمي في نهضته أنَّه أخبره الشيخ عبد الله بن علي بن عبد الله الخليلي ابن أخ الإمام محمَّد الخليلي أنَّ الإمام محمَّد أخبر عبد الله بن علي عن مقالة الشيخ أحمد بن محمَّد بن عيسى الحارثي، وأنَّ الشيخ عبد الله ردَّ على عمِّه الإمام بقوله: "صدق أحمد، وإنَّ الفتنة قائمة؛ ولهذا نحن نحبُّ أن يكون خليفة نرجع إليه، لئلاَّ نفشل بعدم الاجتماع، ولا نجتمع إلاَّ عن رأيك"[٤]. فمع الاتِّفاق على حصول الفتنة يقع الخلاف في سببها. فبينما يرى الشيخ أحمد الحارثي أنَّ الفتنة ستكون باستخلاف إمام، يرى الشيخ عبد الله الخليلي أنَّ الفتنة ستقع بعدم الاستخلاف؛ لذا يؤكِّد الأخير على ضرورة الاستخلاف، وأن يكون هذا الاستخلاف من قِبل الإمام محمَّد الخليلي نفسه. يؤكِّد الشيخ عبد الله بن علي بن

١) الخليلي: كلمة، ص٧٣-٧٤.

٢) المرجع نفسه، ص٧٤.

٣) الخليلي، عبد الله بن علي: الحقيقة، مخطوطة بحوزة الشيخ محمَّد بن عبد الله بن علي الخليلي. ولدى الباحث صورة منها، ص١١٦.

٤) المرجع نفسه.

عبد الله في مخطوطة "الحقيقة" أنَّ الشيخ أحمد بن محمَّد الحارثي دخل على الإمام، وكان دخوله عن طريق أبناء أخ الإمام هلال وسعود ابني علي بن عبد الله، وأنَّ الإمام قال لابن أخيه عبد الله: "كأنِّي بالفتنة على أفواه السكك"[١]. لكن يستنكر أنَّ الشيخ أحمد منع من دخوله على الإمام مرَّة ثانية[٢].

هذه العودة عن الاستخلاف، إضافة إلى المطامع السِّياسيَّة لبعض الزعماء تفسِّر رفض الشيخ سليمان بن حمير بن ناصر النبهاني[٣] في بادئ الأمر إمامة الشيخ غالب بن علي الهنائي؛ لأن الشيخ غالب من الحزب الهناويِّ. ويقول الشيخ محمَّد السالمي: "غير أنَّ أصدقاءه حذَّروه ورغَّبوه، وخوَّفوه العاقبة، وما كان قبوله عن رغبة"[٤]. وهو خلاف ما قاله الشيخ أحمد بن محمَّد بن عيسى الحارثي من أنَّ الشيخ الحميريَّ، وعمَّه الشيخ صالح بن عيسى[٥] اجتمعا في مكَّة المكرَّمة أثناء تأديتهما مناسك الحجِّ في عام ١٣٧٠هـ/١٩٥١م على استخلاف الشيخ غالب.

خاتمة:

سعى البحث إلى تحليل وثيقة الاستخلاف وما شابها من غموض في مواقف المصادقين، ومواقف بعض زعماء القبائل من بيعة الإمام غالب بن علي الهنائي. ومن خلال المقارنة وتحليل الوثائق والمذكِّرات، خرجت الورقة ببعض الاستنتاجات، وهي في الآتي:

- اتَّضح أنَّ داعي الاستخلاف الذي سعى إليه الإمام محمَّد بن عبد الله، هو الخوف من عدم اتِّفاق الناس على إمام واحد بعده، وقد شاور في هذا الأمر قضاته ورؤساء القبائل؛ فوجد ميلا من البعض إلى الاستخلاف، ونفورًا من آخرين، فحسم الأمر بالاستخلاف.

---

١) المرجع نفسه، ص١١٥.

٢) المرجع نفسه.

٣) لمزيد من المعلومات عن الشيخ سليمان بن حمير ينظر: شركة الزيت العربيَّة الأمريكيَّة: عُمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي، ط١، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٥٢م، ص١١-١١٥.

٤) السالمي: نهضة الأعيان، ص٤٩٩.

٥) لمزيد من المعلومات عن الشيخ صالح بن عيسى بن صالح ينظر: شركة الزيت العربيَّة الأمريكيَّة: عُمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي، ص١١-١١٥.

- بيَّنت هذه الورقة أنَّ الإمام كان قد استخلف الشيخ عبد الله ابن الإمام سالم بن راشد الخروصي، لكنَّه تراجع عن ذلك الاستخلاف، وتعلَّل بأنَّ فيه ضعفا ووهنا، وأنه غير قادر على أمر رسالة الإمامة، وذلك في رسالة وجَّهها الإمام إليه يخبره بذلك، قبل استخلاف الشيخ غالب.

- كشفت الورقة أنَّ الزعامة السِّياسيَّة للإمامة متمثِّلة في القوى السِّياسيَّة، وعلى رأسهم زعيم الهناويَّة الشيخ أحمد بن محمَّد الحارثي، وعمُّه الشيخ صالح بن عيسى، وزعيم الغافريَّة الشيخ سليمان بن حمير النبهاني كانت مواقفهم متباينة، فالشيخ أحمد بن محمَّد رفض الاستخلاف، وعاتب الإمام على استخلاف الشيخ غالب، بينما قبل الشيخ صالح بن عيسى بالاستخلاف. وأمَّا الشيخ سليمان فقد تردَّد في بداية الأمر؛ حتَّى نُصح بقبول الاستخلاف خوفًا على استقلاله ومكانته، وأنَّ الإمام الجديد الهناويَّ لا يغيِّر شيئًا من مكانته واستقلاله سياسيًّا واقتصاديًّا.

- أبرزت هذه الورقة العوامل التي شجَّعت الشيخ أحمد بن محمَّد الحارثي في دعوته للوحدة الوطنيَّة؛ وذلك لِمَا آلت إليه أوضاع عُمان الاقتصاديَّة والسِّياسيَّة من ضعف، تمثَّل - في إحدى مظاهره - في تدفُّق العُمانيِّين إلى البريمي للمبايعة لابن سعود تحت سطوة الطمع المادِّي، وقد تمسَّك الشيخ أحمد بن محمَّد بموقف الإمام، ونصيحته إليه في أمر علاقته بالسلطان، وبما اتَّفق عليه الحزب الهناويُّ في سناو، وشعر الشيخ في نفسه أنَّ الإمام أجبر في كتابة استخلاف الشيخ غالب بن علي من قِبَل المحيطين به.

- كشفت الورقة أنَّ مصادقة القضاة على الاستخلاف يشوبها عدم الدقَّة؛ حيث كانت تلك التواقيع منقولة من قبل الشيخ القاضي سفيان بن محمَّد الراشدي، الذي اعترف أنَّه نقل الموافقة من خطوط هؤلاء القضاة، وهذا يبرهن على أنَّ موافقتهم تقيَّة إداريَّة، وهم يدركون أنَّه لا يستقيم أمر الإمامة من دون توافق ظاهريٍّ بين العلماء ورجال السياسة.

المصادر والمراجع:

- البوسعيدي، سالم بن سعيد: الشيخ صالح بن عيسى الحارثي سيرة حياة – وتاريخ وطن، ط١، رؤى للنشر، سلطنة عُمان، ٢٠١٤م.
- الحارثي، سعيد بن حمد بن سليمان: اللؤلؤ الرطب. ط١، مسقط، د نا، ١٩٨٥م.
- الحارثي، سعيد بن حمد بن سليمان: زهر الربيع في السعي لإرضاء الجميع. مرقون.
- الحارثي، محمَّد بن أحمد: مذكِّرات الشيخ أحمد، مرقون، نسخة بمكتبة الباحث.
- الحارثي، محمَّد بن عبد الله: موسوعة عُمان، مركز دراسات الوحدة العربيَّة، بيروت، ٢٠٠٧م.
- حنظل، فالح: معجم الألفاظ العاميَّة في دولة الإمارات العربيَّة المتَّحدة، ط٢، وزارة الإعلام والثقافة، أبوظبي، ١٩٩٨م.
- الحوسني، زاهر بن عبد الله: سيرة محمَّد بن سالم الرقيشي، بحث تخرُّج، مرقون، معهد العلوم الشرعيَّة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- الخليلي، سعود بن علي: كلمة، صفحات من تاريخ عُمان، ط٢، بيروت، ٢٠١٥م.
- الخليلي، عبد الله بن علي: الحقيقة، مخطوطة بحوزة الشيخ محمَّد بن عبد الله بن علي الخليلي. ولدى الباحث صورة منها.
- السالمي، محمَّد بن نور الدين: نهضة الأعيان بحرِّيَّة عُمان. مكتبة التراث، بيروت، د. ت.
- السرحني، إسماعيل بن إبراهيم بن سعيد: قلائد المرجان في ذكر السيرة العطرة لأئمَّة عُمان، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ١٩٨٣م.
- السعدي، فهد بن علي: معجم الفقهاء والمتكلِّمين الإباضيَّة، ج٢، ط١، مكتبة الجيل الواعد، مسقط، ٢٠٠٧م.
- السيفي، محمَّد بن عبد الله بن سعيد: النَّمير: حكايات وروايات، ج٥، مسقط، ٢٠١٢م.
- شركة الزيت العربيَّة الأمريكيَّة: عُمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي، ط١، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٥٢م.

- الطائي، عبد الله بن محمَّد: تاريخ عُمان السياسي، ط١، مكتبة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٠٨م.
- العبري، علي بن هلال، وآخرون: الآثار العلميَّة لإبراهيم بن سعيد العبري، ط١، جامعة السلطان قابوس، مسقط، ٢٠١٥م، ج١.
- الفارسي، سيف بن محمَّد: حياتي، ط١، مكتبة خزائن الآثار، بركاء، سلطنة عُمان، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.
- لاندن، روبرت جيران: عُمان منذ ١٨٥٦مسيرًا ومصيرًا، ترجمة: محمَّد أمين عبد الله، ط٤، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عُمان، ١٩٨٩م.
- مجموعة من الباحثين: دليل أعلام عُمان، ط١، جامعة السلطان قابوس، بيروت، ١٩٩١م.
- مجهول: الشعاع الأخضر في حرب الجبل الأخضر، د.نا. د.ت.
- Records of Oman: 18671960-. vol. 8. British library cataloguing in Publication Data. Archive Editions. London: 1992.

الملاحق:

الملحق رقم (١) صورة الاستخلاف. (هذه الوثيقة من كتاب: الحارثي، محمد بن عبد الله: موسوعة عُمان، الوثائق السرية، ج٣.

(١-١)

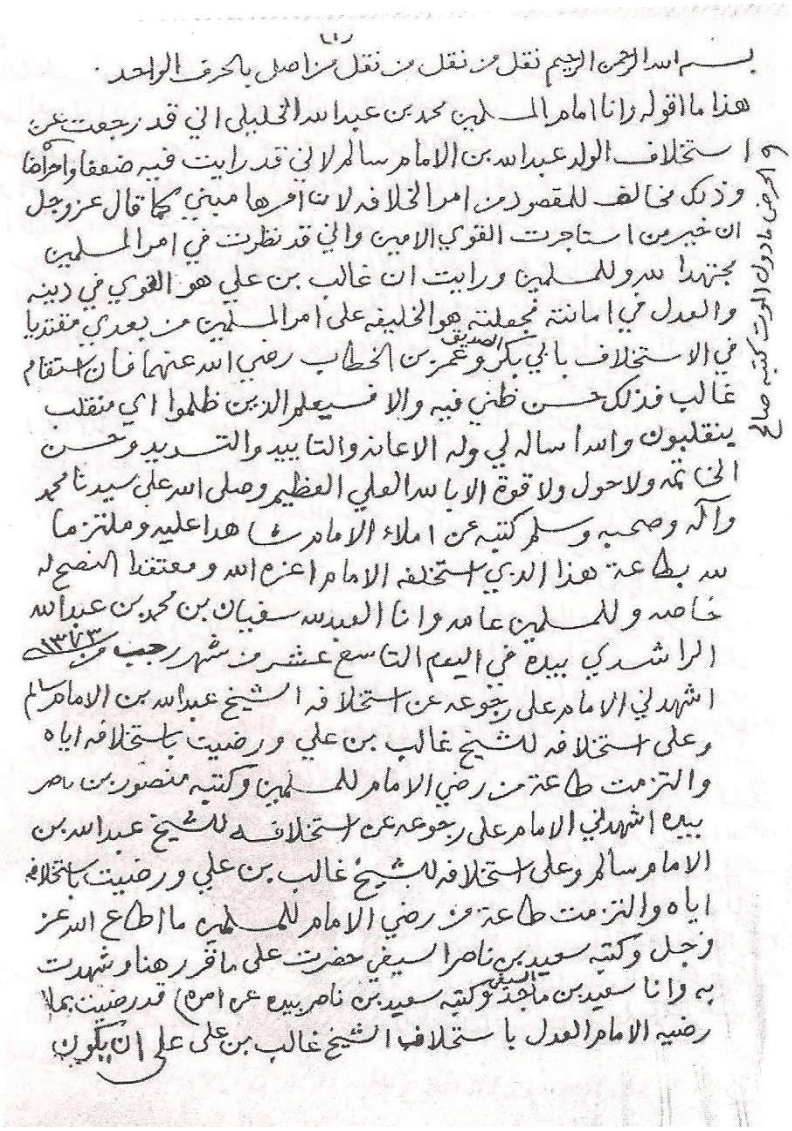

(١-٢)

اماما للمسلمين ما اطاع الله ورسوله والتزمت بطاعته وكتبته بيده وانا مالك بن
محمد العبري اقول نظرت فيما رآه الامام ما اجتهد فيه لله ولصلاح هذه الامة من
استخلف غالب بن علي تحريا فيه انه اقوم واحمد لهذا الامر فانه بعد اجتهاده
وجزمه بذلك فعلى المسلمين كافة وعلينا اتباعه وقد رضيت مزار قضاه
الامام وشهدت عليه بذلك وانا محمد بن سالم الرقيشي بيده قد رضيت من
رضيه الامام وهؤلاء الجماعة لهذه الامة وهو حق وصواب ليعلم وكتبه
العبد سعود بن سليمان الكندي بيده التزمت ما ارتضاه المسلمون
وانا العبد لله ابراهيم بن محمد بن سالم الرقيشي بيده رايت ماكتبه اخونا
سفيان عن املاء الامام العدل من رجوعه عن استخلافه للشيخ عبدالله
ابن الامام الشهيد ومن استخلافه للشيخ غالب بن علي اماما للمسلمين
بعده اجتهادا منه للمسلمين وطلبا لثواب الله عز وجل وماكتبه
الاشياخ كالشيخ العلامة الرقيشي وولده ومن معهم وما قول ان
رضيت ما رضيه والتزمت بطاعته ما سار السيرة الذي سلكه
السلف الصالح وانا العبد لله ناصر بن عبدالله العتمالي بيده وقفت
على ماكتبه القاضي سفيان بن محمد الراشدي باملاء الامام من رجوعه
عن استخلاف عبدالله بن الامام للاعذار التي ابداها فيه وانه جعل
الخليفة من بعده غالب بن علي لاهليته للقيام بهذا الامر وقد
رضي به الاشياخ والقضاة المذكورون بهذه الصحيفة لرضا الامام
وقد رضيت بما رضي به الامام والقضاة باستخلافه وسأله سبحانه
العون والتوفيق وكتبه قاضي الامام سالم بن محمد بن علي الحارثي
بيده نظرت ماكتبه القاضي ابو الحسن من رجوع الامام ابقاه الله عن
استخلافه للشيخ عبدالله بن الامام سالم ما استخلافه للشيخ غالب
ابن علي على امر المسلمين فرضيت به خليفة والتزمت طاعته وانا
العبد علي بن ناصر بن عامر الغسيني بيده نظرت ماكتبه القاضي ابو الحسن
من رجوع الامام ابقاه الله ومتفنا بحيانه عن استخلافه للشيخ عبدالله
ابن الامام سالم ما استخلافه للشيخ غالب بن علي على امر المسلمين

(١-٣)

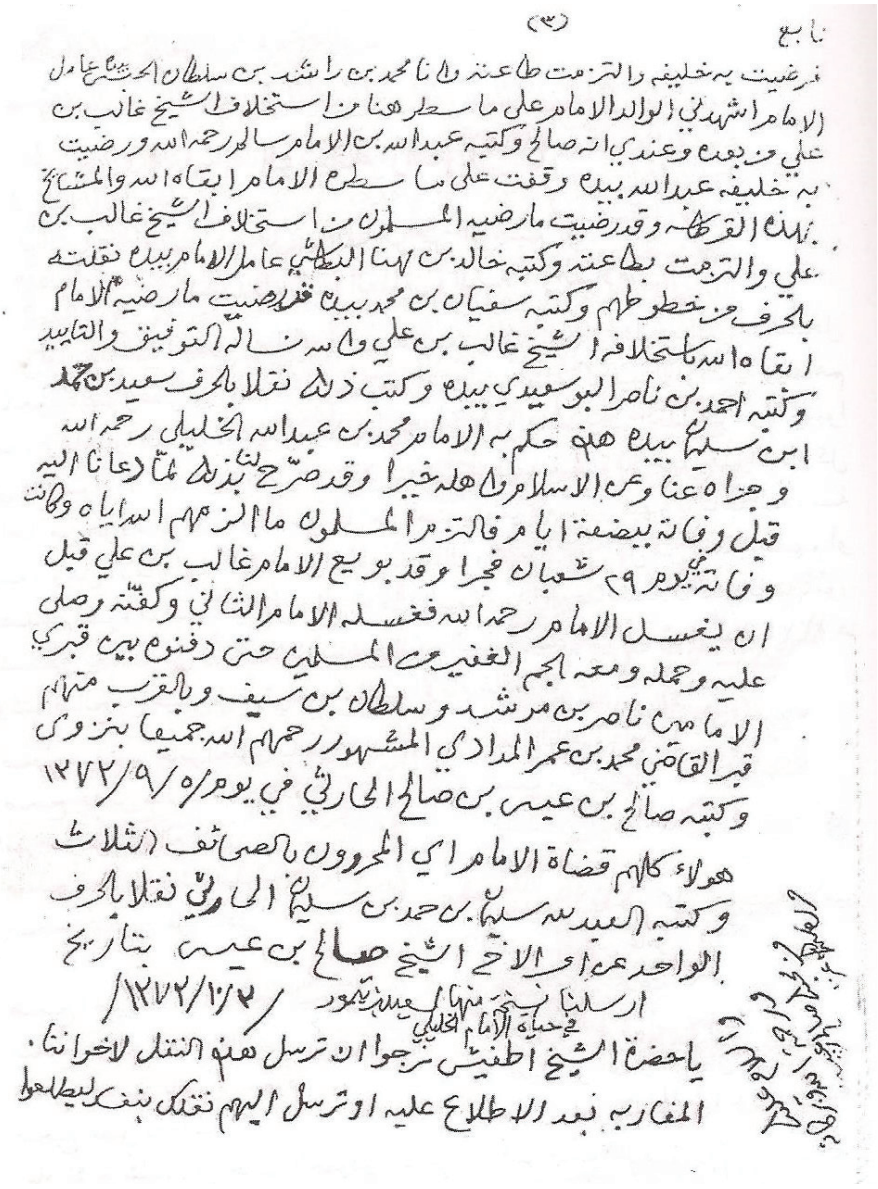

تابع (٣)

فرضيت به خليفة والتزمت طاعته وانا محمد بن راشد بن سلطان الحشر عامل الامام اشهد بي الوالد الامام على ما سطر هنا من استخلاف الشيخ غالب بن علي من بعده وعندي انه صالح وكتبه عبدالله بن الامام سالم رحمه الله ورضيت به خليفة عبدالله ببيده ووقفت على ما سطره الامام ابقاه الله والمشائخ بهذه القرطاسة وقد رضيت ما رضيه المسلمون من استخلاف الشيخ غالب بن علي والتزمت بطاعته وكتبه خالد بن هنا البطاشي عامل الامام ببيده نقلته بالحرف من خطوطهم وكتبه سفيان بن محمد ببيده قد رضيت ما رضيه الامام ابقاه الله باستخلاف الشيخ غالب بن علي وفقه الله لكل توفيق والتاييد وكتبه احمد بن ناصر البوسعيدي ببيده وكتب ذلك نقلا بالحرف سعيد بن احمد ابن سليمان ببيده هذا حكم به الامام محمد بن عبدالله الخليلي رحمه الله وجزاه عنا وعن الاسلام واهله خيرا وقد صرح بذلك مرارا عانا اليه قبل وفاته ببضعة ايام فالتزم المسلمون ما الزمهم اياه وكانت وفاته يوم ٩ شعبان فجرا وقد بويع الامام غالب بن علي قبل ان يغسل الامام رحمه الله فغسله الامام الثاني وكفنه وصلى عليه وحمله ومعه الجم الغفير من المسلمين حتى دفنوه بين قبري الامامين ناصر بن مرشد وسلطان بن سيف وبالقرب منهما قبر القاضي محمد بن عمر المدادي المشهور رحمهم الله جميعا بنزوى وكتبه صالح بن عيسى بن صالح الحارثي في يوم ٥/٩/١٢٧٢

هولاء كلام قضاة الامام اي المحررون بالصحائف الثلاث وكتبه العبد لله سليمان بن حمد بن سليمان الحارثي نقلا بالحرف الواحد عما في الاخ الشيخ صالح بن عيسى بتاريخ ١٢٧٢/١٠/٢

ارسلنا نسخة منها لسماحة السيد تيمور في حياة الامام الخليلي

ياحضرة الشيخ الطفيش نرجوا ان ترسل هذه النقل لاخواننا المغاربة بعد الاطلاع عليه او ترسل اليهم نقلك بنفسك ليطلعوا

الملحق رقم (٢) رسالة رجوع الإمام محمَّد الخليلي عن استخلاف الشيخ عبد الله ابن الإمام سالم، مؤرَّخة في ٢٨ رجب ١٣٦٨هـ (٢٥ مايو ١٩٤٩م)

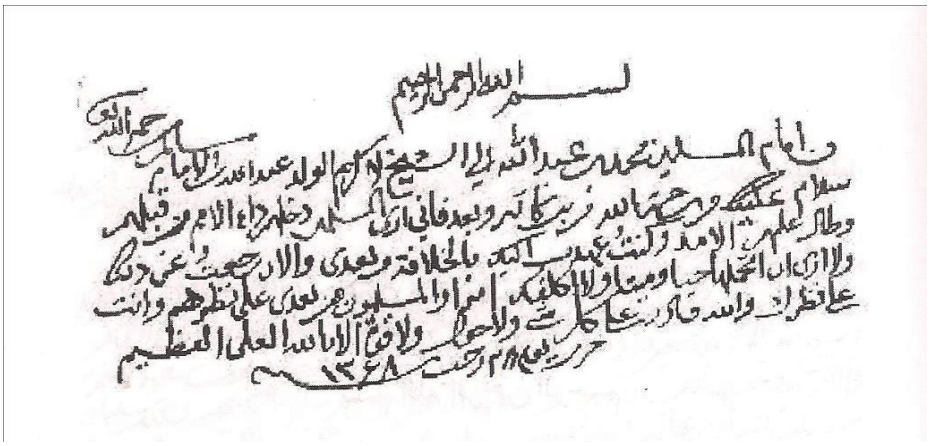

الملحق رقم (٣) رسالة الشيخ عبد الله ابن الإمام سالم إلى الإمام محمد بن عبد الله الخليلي مؤرَّخة في ٢٤ جمادى الثانية ١٣٦٨هـ (٢٢ إبريل ١٩٤٩م)

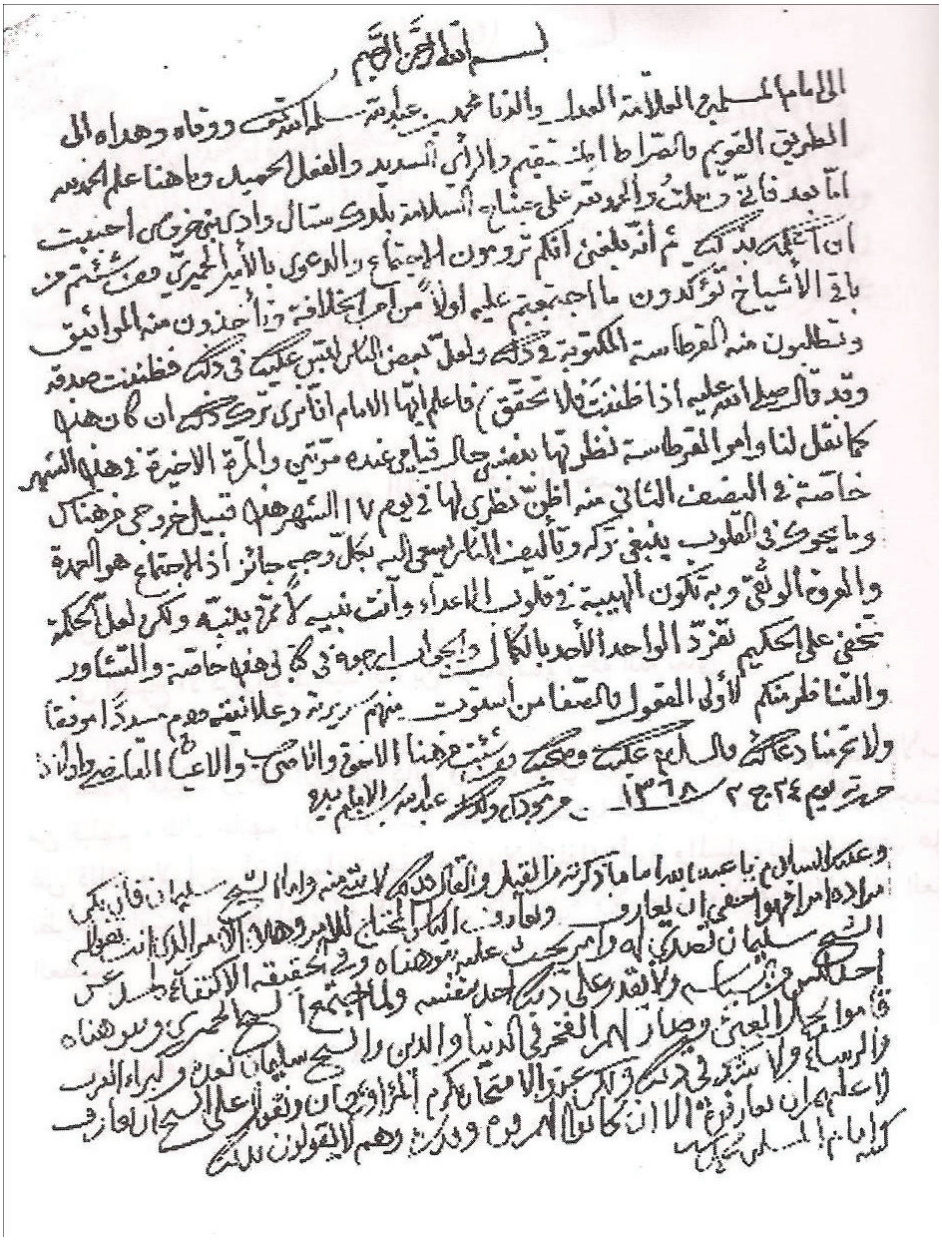

الملحق رقم (٤) رسالة الشيخ عبد الله ابن الإمام سالم إلى الإمام محمد بن عبد الله الخليلي مؤرَّخة في ٣ شعبان ١٣٦٨هـ (٣٠ مايو ١٩٤٩م)

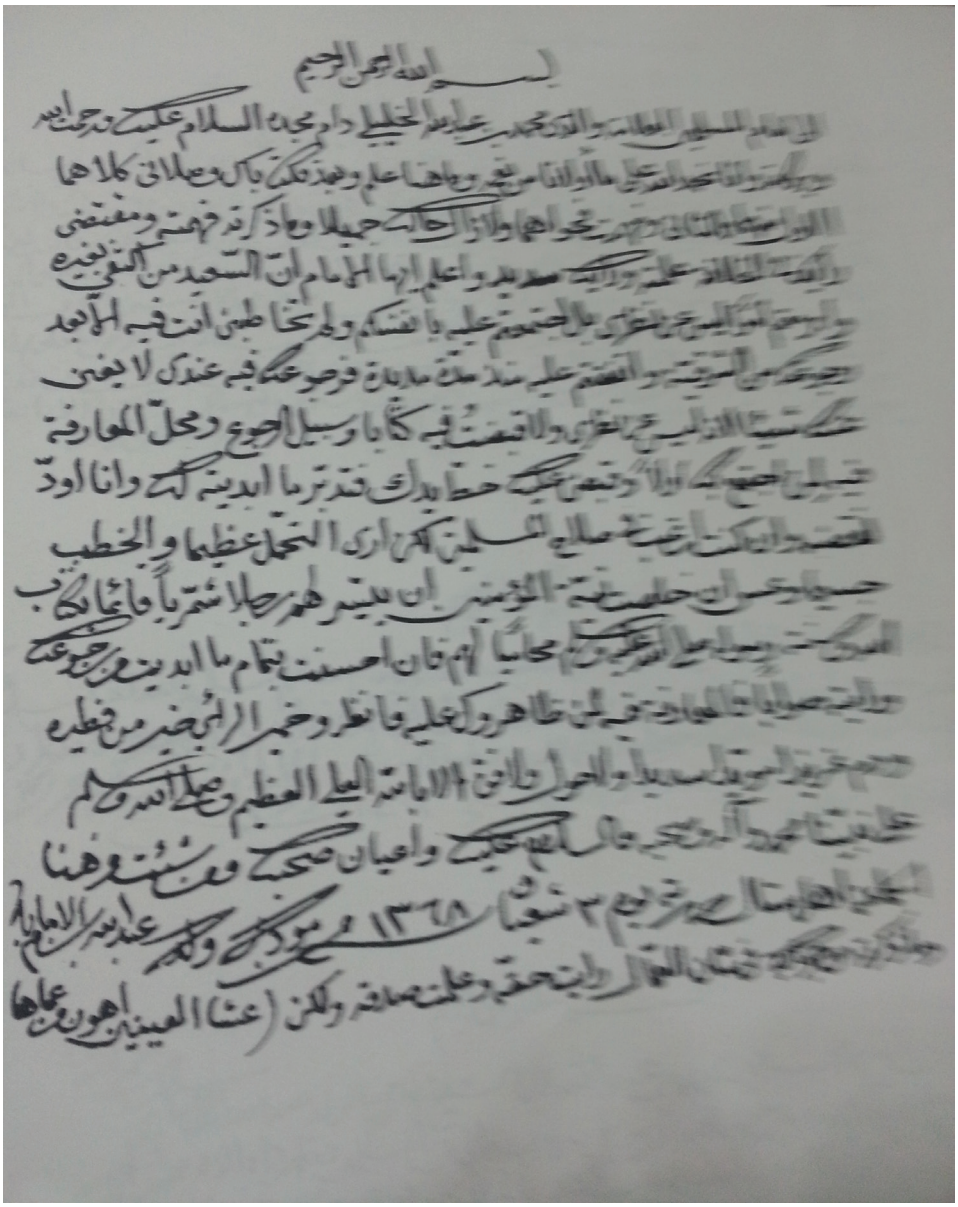

الملحق رقم (٥) رسالة الشيخ أحمد بن ناصر السيفي إلى الشيخ أحمد بن محمد بن عيسى الحارثي، مؤرَّخة في ٢٤ ربيع سنة ١٣٧٢هـ (يناير أو فبراير ١٩٥١م)

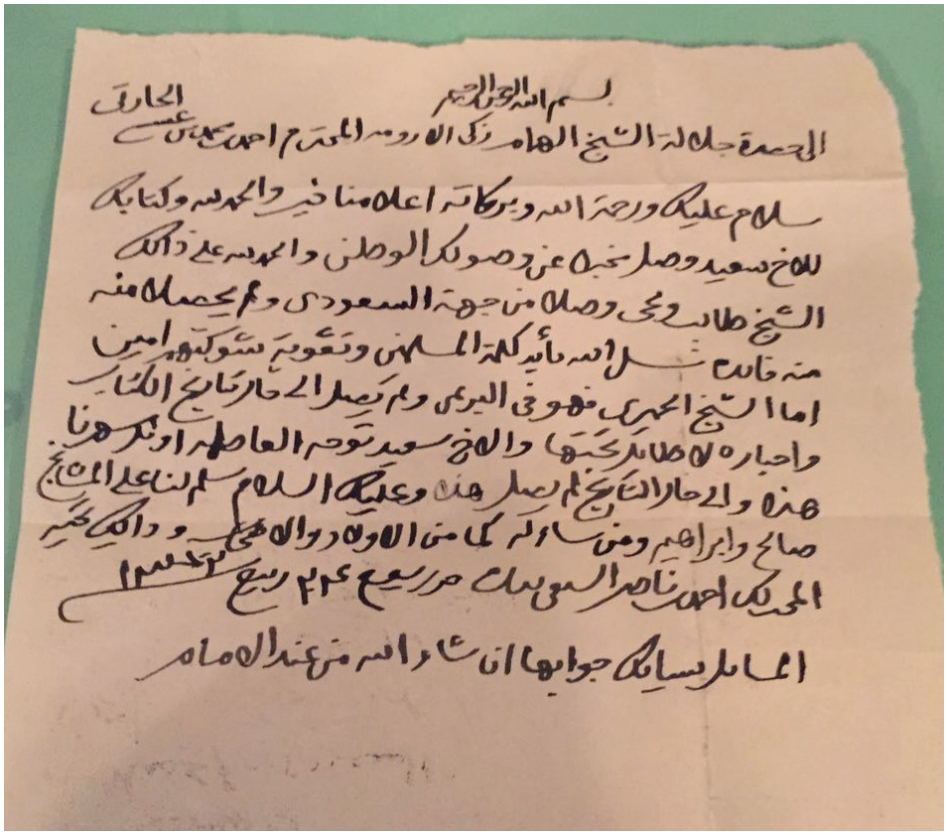

الملحق رقم (٦) رسالة الإمام محمد بن عبد الله الخليلي إلى الشيخ محمد بن نور الدين السالمي، مؤرَّخة في ٢٢ رجب ١٣٧٢هـ (٦ إبريل ١٩٥٣م)

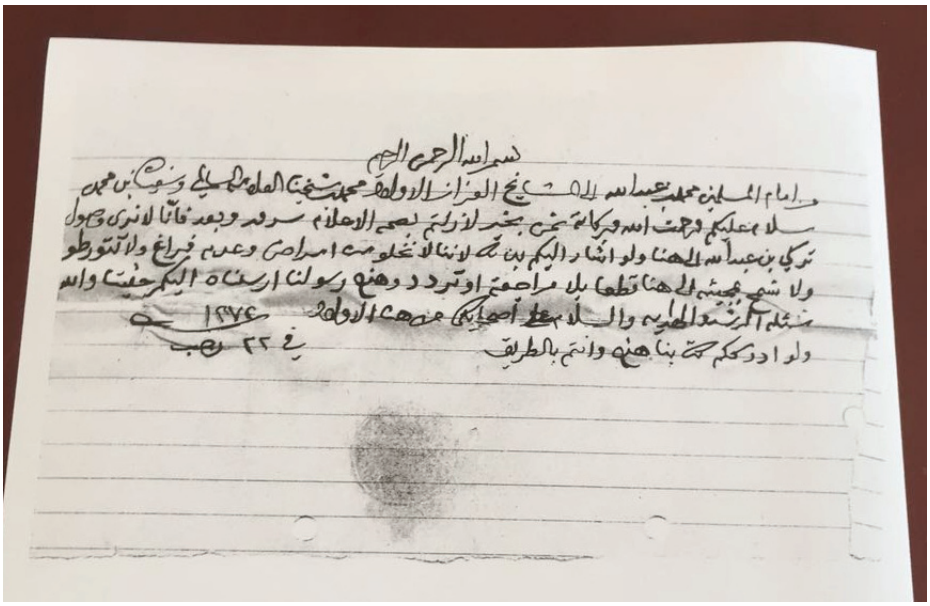

بسم الله الرحمن الرحيم

من امام المسلمين محمد بن عبد الله الى الشيخ العزاز الاوحد محمد بن شيخنا العلامة المحقق الخالي وفقه الله آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته نحن بخير لازلتم بصحة الاعلام سرنا وبعد فانا لانرى سهولة

تركي بن عبد الله الهنا ولو اشار اليكم بن تحه لاننا لانخلو من امراض وعدم فراغ ولا التوطو

ولا شي يجيئه الى هنا قطعا بل مراجعة او تردد وهنه رسولنا ارسناه اليكم حفيظ والله

يسئله الرشد والهدية والسلام على اصحابكم ومحبي الاوداد

في ٢٢ رجب ١٣٧٢ هـ

ولو اردتم حمة بنا هنه وانتم بالطريق